

البداية والنهاية

برهاننا وإذا أبيتم قبول الحق وتماديتم في الباطل وسواء عليكم أنهيتمكم عما أنتم فيه أم لا فانظروا الآن عذاب الآل الواقع بكم وبأسه الذي لا يرد ونكاله الذي لا يصد وقال تعالى قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم عتاء فبعدا للقوم الظالمين وقال تعالى قالوا أجيئنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما العلم عند الآل وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين وقد ذكر الآل تعالى خبر اهلاكهم في غير ما آية كما تقدم مجملا ومفصلا كقوله فأنجيناها والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وكقوله ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم إلا بعدا لعاد قوم هود وكقوله فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم عتاء فبدا للقوم الظالمين وقال تعالى فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم .

وأما تفصيل إهلاكهم فلما قال تعالى فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا محلين مستنين فطلبوا السقيا فرأوا عارضا في السماء وطنوه سقيا رحمة فإذا هو سقيا عذاب ولهذا قال تعالى بل هو ما استعجلتم به أي من وقوع العذاب وهو قولهم فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ومثلها في الأعراف وقد ذكر المفسرون وغيرهم ههنا الخبر الذي ذكره الإمام محمد بن إسحق بن بشار قال فلما أبو إلا الكفر بالآل أمسك عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك قال وكان الناس إذا جهدهم أمر في ذلك الزمان فطلبوا من الآل الفرج منه إنما يطلبونه بحرمة ومكان بيته وكان معروفا عند أهل ذلك الزمان وبه العماليق مقيمون وهم من سلالة عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم إذ ذاك رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أمه من قوم عاد واسمها جلهدة ابنة الخيبري قال فبعث عاد وفدا قريبا من سبعين رجلا ليستقوا لهم عند الحرم فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر يغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية وكانوا قد وصلوا إليه في شهر فلما طال مقامهم عنده وأخذته شفقة على قومه واستحى منهم أن يأمرهم بالانصراف عمل شعرا

فيعرض لهم بالانصراف وأمر القينتين أن تغنيهم به فقال ... ألا يا قيل ويحك فم فهم ...
لعل اـ يمنحنا عما ما ... فيسقي أرض عاد ان عادا ... قد أمسوا لا يبينون الكلاما